الحلقة الثالثة عشرة

لماذا تأخر الأمر بالصوم عن الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فلماذا كان الأمر الإلهي بالصوم متأخرا عن الصلاة ؟ ولم لم يشرع الصوم مع الصلاة أو بعدها بقليل ؟ إنه لابد من حكمة وراء تأخر الأمر بالصوم وتقديم الصلاة عليه ، ومن الضروري أن يكون هناك سبب من أجل ذلك ، ومن المعلوم أن الصوم لم يفرض قبل الهجرة، وإنما فرض بعدها وفي المدينة المنورة ، أما الصلاة فكانت فرضيتها في مكة وقبل الصوم بكثير ، وهيا بنا إلى معرفة السبب في تأخر الصوم إلى السنة الثانية من الهجرة النبوية ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الصوم فيه مشقة والي أن المسلمين وهم في مكة قبل الهجرة كانوا يعيشون في جو إرهابي ، ويعانون من إيذاء الكفار المتواصل لهم ، وتضييق الخناق عليهم لكي يتركوا عقيدتهم الإيمانية ويرجعوا إلى عفن الكفر، ووصل الأمر بالكفار إلى انهم قتلوا من المسلمين البعض لتمسكهم بدين الإسلام ، وكان ما كان من حصار مميت ، وأعمال وحشية ، وإجرام مستمر .

وإذاً فالجو الذي يعيش المسلمون فيه آنذاك ، كان جوا مكفهرا مليئا بالأحزان ، مفعما بالمعاناة والقسوة ، زاخرا بألوان الشر ، فكان- والحال هذه - ألا يفرض الصوم في ظل هذا الجو وتلك المعاناة ، وكان من الحكمة أن يؤخر الآمر بالصوم إلى أن تزول تلك المحن وتنتهي هذه الشدة ، وبعد أن هاجر المسلمون إلى المدينة وفى السنة الثانية من الهجرة

فرض الله الصوم على المسلمين، وجاء القرآن الكريم بفرضيته بعد أن بعدت أشباح الشر ونيران العداوة والبغضاء عن المسلمين ، وصاروا في مناخ آخر مناسب لفرض الصوم عليهم ، فرض عليهم الصوم بعد أن نزحوا إلى المدينة وطاب لهم المقام بها ، وتيسرت لهم فيها أسباب العيش ، والحياة الهادئة السعيدة في هذا البلد المضياف ، وفى رحاب جو المدينة المنورة العزيزة ، في تلك المنطقة التي رحب أهلها بدعوة الإسلام ورسول الإسلام وأتباع الإسلام ، تأخرت فريضة الصوم حتى لا يقول قائل : إن الصوم كان اضطراريا، وإنه كان من وحي البيئة ، وإن سوء الحالة الاقتصادية للمسلمين في مكة هي التي حملتهم على الصوم ، وإن الصوم شيء خاص بالفقراء والمساكين ، وإنه من شأن المضطهدين والمعذبين ، وإن الأغنياء أصحاب الثراء الواسع ليس الصوم من شأنهم ، لأنهم يعيشون في سعة من العيش ، ثم إن الصوم لم يفرض على المسلمين إلا بعد رسوخ العقيدة في قلوب المسلمين ، وأشرقت أنوارها وتألق سناها ، وبعد أن ألف المسلمون الصلاة وهاموا بها ، وأقاموها وأحسنوا أداءها ، وبعد أن تهيأت نفوسهم قبول الأوامر والأحكام الشرعية ، ولا شك أن في الصوم إرهاقا ومشقة ، وتعباً ومعاناة ، وإذاً كان لابد من الإعداد والتهيئة ، وأن يسبق الصوم تأصيل العقيدة ورسوخها في النفوس .

ثم إن التدرج شيء ضروري ، وربنا - جل وعز- أعلم بنفوس عباده وهو رءوف بهم ، لم يكلفهم بالصوم وهو الشاق في أدائه ، إلا بعد أن يتهيأ الجو المناسب والمناخ الملائم للقيام بما يؤمرون به. وإذاً اتضحت الرؤية أمامنا ، وعرفنا الحكمة الإلهية في تأخير الصوم عن الصلاة فترة كبيرة من الزمن ، وربنا - جل شانه- كل أفعاله مبنية على الحكمة ، وهى تستهدف صالح الخلق وخيرهم..

جاء القران الكريم بفريضة الصوم في المدينة وفى العام الثاني من الهجرة المحمدية ، وقد توفى الرسول - عليه الصلاة والسلام - بعد أن صام رمضان تسع مرات ، أي أنه - عليه

السلام - منذ فريضة الصوم إلى أن انتقل إلى جوار ربه ، صام تسع رمضانات فيما بين الفرضية إلى الوفاة ، جاء القرآن الكريم بالأمر الإلهي للمؤمنين بفرضية الصيام ، وأتي بالقانون الرباني بالصوم وذلك في قول رب العزة - جل شأنه - :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات ﴾ (البقرة : ١٨٣).

وجاء القرآن الكريم أيضاً بقول الله تعالي :

﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدي للناس وبينات من الهدي والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فيلصمه ﴾ (البقرة : ١٨٥).

وجاء أيضاً قول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - :

- صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما . (أبو داود وغيره) .

والصوم الذي أمرنا الله به ، وجاء القرآن الكريم بفرضيته ، لم يكن تشريعا جافا مجردا كالقوانين والمراسم العادية ، التي تكون بين الأفراد والحكومات، والتي لا تعتمد إلا علي الرابطة السياسية أو الاجتماعية ، ليس الصوم كذلك ، وإنما كانت الآيات القرآنية التي جاءت به ، مخاطبة الإيمان ، والعقيدة ، والعقل ، والضمير ، والقلب ، والعاطفة في وقت واحد ، كان الأمر كذلك لتكون هناك إثارة لكل أولئك ، وتغذية كذلك ولتهيئة الجو لقبول ذلك التشريع والترحيب به، واستقباله بحماس إيماني ، ونشاط عظيم .. إنه التشريع الرباني الحكيم ، جاء به القرآن الكريم ، الذي هو تنزيل من حكيم حميد ، والمعجزة الكبرى للرسول العالمي رسول الإسلام محمد - صلي الله عليه وسلم - ثم إن ربنا - جل شأنه وتقدست أسماؤه - لم يوجب الصيام علي المسلمين دون غيرهم ، وإنما أوجبه

علي الأمم السابقة ، وذلك عدل منه - سبحانه - ورحمة . والصوم ليس امتحانا فقط ، ولم يكن مشقة ليس من وراءها قصد ، وإنما هو يستهدف التربية الخلقية ، والرياضة الروحية، والإصلاح الاجتماعي ، والتوجيه النافع ، والصبر الجميل ، إن الصوم مدرسة كبري ، بل هو جامعه عظمي ، يتخرج منها الصائمون الذين صانوا أنفسهم وهذبوا سلوكهم ولم يلوثوا صومهم ، يتخرجون منه بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف ويحصلون علي الجوائز الربانية ممن أمر بالصيام وهو الله تعالي.

أيها الإخوة والأخوات : ما أعظم تشريعات ربنا ، إنه - جل شأنه - ، لا يكلفنا ما لا نطيق ، وهو القائل - عز وجل - :

﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ (البقرة : ٢٨٦).

وهو لم يكلفنا بالعبادات جملة واحدة ، إنه - سبحانه - رءوف رحيم ، والله نسأل أن يوفقنا إلى أداء العبادة علي أتم وجه ، إنه سميع الدعاء وهو الموفق إلى ما فيه الخير .